

الأهواريون.. كائنات الماء وأحفاد السومريين

الفوتوغرافي العراقي سعد نعمة يقيم معرضاً عن فينيسيا العراق



"الأهواريون" هم ناس الأهوار من سكنة المنطقة الجنوبية في العراق. والأهوار مناطق مائية شاسعة تغطي تقريباً الجنوب العراقي في البصرة والناصرية والعمارة بفراحتها البيئية والطبيعية والنوع الحيواني القار من الجواميس والأبقار، والمهاجر الموسمي من الطيور التي تشكل مصدراً غذائياً لا غنى عنه، وما يزال سكنة هذه المناطق متشبثين ببيوت القصب والأكواخ البسيطة ولا يمتنون سوى تربية الجاموس والأبقار كونهم تجمعات مرتحلة مع الماء والسكالا. يتبعون مجاري الأنهار والمياه التي كانت شحيحة حتى وقت قريب، فعلاقتهم الفطرية بالمياه علاقة أزلية معروفة، وانتمائهم إلى المكان تاريخياً يعود إلى العصور السومرية الأولى التي ما تزال بقاياها ماثلة إلى حد ما، حتى في وجوه الأهواريين الفريدة في تشكيلاتها البشرية من ملامح وقسمات يستطیع الزائر أن يميزها في الوجوه التي يطالعها نساءً ورجالاً.

وارد بحر السالم
روائي عراقي



كانت الأهوار تسمى فينيسيا الشرق نظراً لوفرة المسطحات المائية التي هي فيها كجزر متباعدة أو متقاربة يقطنها الرعاة ومربو الجواميس، وزارها عدد غير قليل من المستشرقين من علماء وباحثين ومعرفيين في قرون خلت والقادة العسكريين في أزمان الاحتلال الاجنبي واطلقوا عليها هذه التسمية، مثل اللبدي درور وكافي ماكسويل وبيتر ديلا وجان باتست وهنري فيلد وهنري فرانتسورت ونور هايردال وصموئيل نوح عالم السومريات المعروف. كما ورد ذكر الأهوار في ملحمة جلجامش قبل أكثر من خمسة آلاف عام باللغة السومرية، فضلاً عن بعض النصوص التوراتية التي ذكرت جلجامش في بنائه للقارب بالطريقة ذاتها التي يستعملها سكان الأهوار في صناعة القوارب حتى اليوم.

فطرة التاريخ

من فكرة الأهواريين-الناس-التاريخ راحت عدسة المصور الفوتوغرافي سعد نعمة في معرضه المقام الآن في بغداد تقيم علاقاتها في زمنين: الماضي والحاضر في معادلة معكوسة إلى حد كبير، فالأهواريون هم الماضي بنسبتين صوره المميز، بيئة ومكانا وعلاقات اجتماعية وإنسانية فطرية، والحاضر تمثله العدسة والتقاطعها وزوايا النظر فيها إلى وجوه الأهواريين في محاولة لاكتشاف الكثير من الفطرة التي تجانس الطبيعة ولا تتعد عنها، بل تغور في تضاعفها لتشكل منها صورة واحدة هي مزيج من الطبيعة والإنسان حينما يلتقيان في بؤرة فوتوغرافية، ويلتحمان في زمنية المكان الحاضر رجوعاً إلى الماضي وأفاقه المتسعة



ملامح من الحياة اليومية في الأهوار



بطاقة فنية

عمل الفنان سعد نعمة محاضراً في معهد الفنون الجميلة ومستشاراً فنياً في وزارة الثقافة وشارك في مؤتمرات علمية وفنية كثيرة داخل العراق وخارجه. كما شارك في عدد من اللجان التحكيمية الفوتوغرافية والسينمائية، وعمل في الصحافة الفنية العراقية ويشغل الآن موقع رئيس تحرير مجلة "السينمائي".

من أعماله السينمائية الوثائقية: "آل سعيد" و"الأسطورة والتراث" و"تخطيطات" و"آزياء" و"ليلة رحيل القمر" و"مدينة الثورة" و"تسعة قناديل للمعرفة" و"الفردوس المفقود".

أقام عدداً من المعارض الفوتوغرافية منها:

- سحر الشرق (2015) في بغداد وكربلاء والنجف وبابل.
- بغداد في الذاكرة (2015) في طهران.
- جنة في عدن (2017) في بغداد.
- حاز على جوائز وشهادات تقديرية في مهرجانات عراقية وعربية وإقليمية.



القديمة الأولى من دون أن تتدخل عدسة الفنان سعد نعمة نهدت إلى الماضي أكثر من الحاضر لتعيد أرخته وتوثيقه والوقوف على جماليات الأهواريين المتصقين بالمكان وأسارره الكثيرة.

عين السينما

ولأنه مخرج سينمائي يتعامل بعين العدسة باحترافية جيدة، سجد الكثير من لقطات الفنان سعد نعمة وكأنها مقطعة من فيلم أو أفلام متعددة عن المكان وزمانه الممتد إلى آلاف السنوات، وبدت عدسته الفوتوغرافية وكأنها سينمائية موجهة تحدد الوجوه بملامحها الزمنية، وتستقطب المكان بطبيعته الفطرية القائمة على ديكورات محددة بالماء الذي يحيطها من كل جانب، والزرع مترامي الأطراف يسير بموازاة المياه، وبيوت القصب التي بقيت على تاسيساتها

المباشرة

لجا سعد نعمة إلى المباشرة في توثيق الوجوه التي تشغل بعض الأحياء من المكان الشاسع، وهي وجوه قليلة مع اتساع المكان وجغرافيته الواضحة التي تشكل بساطاً كبيراً من التردّي والماء؛ تشكل الطفولة منها القسم الأكبر، مثلما تشكل الطبيعة الرافد الآخر لها؛ لكنّها وجوه تضمن بقاء المكان في دالته الطوبوغرافية القديمة وجمالياته السياحية والإنسانية التي هو عليها بالرغم مما تعرض له من دمار وتخريب وتجفيف في سنوات ما قبل 2003 إلا أن الحياة تبدو وكأنّها عادت في الوجوه وشرابيين الأهوار، لذلك بدأ الأهواريون مع بساطتهم المفرطة أكثر اهتماماً باللحظة العابرة التي تطرقها عدسة الفنان سعد نعمة.

المعروفة، فيتشكلان من جديد؛ طبيعة حية ما تزال تجري بسيطة مع الماء، وعلاقات يومية تستمر بالرغم مما أصاب المنطقة من ويلات كثيرة بسبب الحروب وجفاف المكان لسنوات طويلة. غير أن هؤلاء الأحفاد السومريين سرعان ما ينبثقون من سرّة المكان ومن الجفاف ليكونوا في عين العدسة مع القصب والجواميس والأخضر الفاقع الذي يشكل صيرورة الحياة

